IUG Journal of Humanities Research
Peer-reviewed Journal of Islamic University-Gaza

E-ISSN: 2410-3179
P-ISSN: 2410-3160

IUGJHR
Vol 31, No 2, 2023, pp 135 -153

Received on (05-09-2022) Accepted on (01-11-2022)
https://doi.org/10.33976/IUGJHR.31.2/2023/6

The position of the Association of Algerian Muslim Scholars on the Palestinian cause And its role in supporting the Palestinian people (1948-1954)

Kamal Omran Ramadani [*1]
Chlef University – Algzaer [*1]

[*]Corresponding Author: k.ramdani@univ-chlef.dz

Abstract:

This research deals with some of the positions of the Association of Algerian Muslim Scholars during the colonial period, regarding the Palestinian issue, its moral and material interaction towards Palestine, to affirm the anti-colonialism on one hand and to fight and resist the Jewish occupation of Palestine on the other, and to raise the awareness of the mass and the mass of local, Arab and Islamic alike; In order to restore the Holy Land. Among its most prominent positions embodied on the ground, the establishment of a national body for the support and relief of Palestine, and participation in Arab and Islamic bodies at the Arab and Islamic level through its office in Cairo, headed by Sheikh Mohammed Bashir Ibrahimi, and by urging citizens and members of the Algerian National Movement for participatory interaction to support that body. From this standpoint, the article examined the problematic issue: "What was the importance of Palestine to the Algerian Muslim Scholars Association during the national movement and its liberating role in confronting the Western and Zionist policy in Palestine''?

After using the historical, descriptive and analytical methodology, the research reached a number of results, which were summarized in the effective role played by the Algerian people to support Palestine. Algerian Muslim Scholars Association was the most prominent in the national movement and backed by the Algerian people through material and human donations to support the Palestinian issue.

Keywords: Association of Algerian Muslim Scholars - Relief Committee for Palestine -Refugees.

موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من القضية الفلسطينية ودورها في دعم الشعب الفلسطيني

(1948-1954)

كمال بن عمران رمضاني [1]
جامعة الشلف - الجزائر [2]

الملخص:

يتناول هذا البحث جانبا من مواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الفترة الاستعمارية، إزاء القضية الفلسطينية، والمتعلقة بتفاعلها المعنوي والمادي تجاه فلسطين، سعيا منها لتأكيد مناهضة الاستعمار من جهة ومحاربة ومقاومة الاحتلال اليهودي لفلسطين، ولبث الوعي الجماعي والجماهيري المحلي والعربي والإسلامي على حدٍّ سواء، من أجل استعادة الأرض المقدسة. ومن أبرز مواقفها المجسدة على أرض الواقع، إنشاء هيئة وطنية لإعانة وإغاثة فلسطين ماديا، والمشاركة في الهيئات العربية والإسلامية على المستوى العربي والإسلامي من خلال مكتبها بالقاهرة وعلى رأسه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وعن طريق حث المواطنين وأعضاء الحركة الوطنية الجزائرية للتفاعل التشاركي لمساندة تلك الهيئة.. ومن هذا المنطلق بحثت هذه المقالة في إشكالية مفادها؛ "فيم كانت تكمن أهمية فلسطين لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الحركة الوطنية ودورها التحرري في مواجهة السياسة الغربية والصهيونية في فلسطين؟ وما هي أبرز مواقفها التفاعلية في ذلك؟

وبعد استخدام المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي، توصّل البحث إلى جملة من النتائج تلخّصت في الدور الفعّال الذي لعبه الشعب الجزائري لمساندة فلسطين شعبا وأرضا بالرغم من كونه تحت الاحتلال الفرنسي، وكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أبرز تيار في الحركة الوطنية تجسّدت أقوالها وأفعالها في الجزائر وفي الخارج، من خلال التبرعات المادية والمعنوية لنُصرة القضية الفلسطينية.

كلمات مفتاحية: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – لجنة إغاثة فلسطين – اللاجئين.

مقدمة:

كان واقع خطر اليهود وأثره على فلسطين ذا وقْعٍ كبير على العرب والمسلمين خلال الثلاثينات من القرن العشرين، ولكن ازداد الوضع من السيّء إلى الأسوأ خاصة بعد الحرب العالمية الثانية (1939–1945)، وظهور حلفاء جدد لليهود وعلى رأسهم الولايات المتحدة، ما زاد في حدة وضعية هذه القضية أكثر، خصوصا بعد انسحاب بريطانيا من فلسطين، وقِيام الكيان الصهيوني في فلسطين أمام مرأىً ومسمع المجتمع الدولي بتاريخ 15مايو/أيار1948م.

كانت الجزائر المُحتلة فرنسيا منذ 1830 تنظر من خلال شعبها المجروح إلى فلسطين بعين الأسى على ما آلت إليه الأمور، فكانت الحركة الوطنية الجزائرية رغم اتجاهات هيئاتها من أحزاب وجمعيات ورغم تباين رؤاهم لقضية فلسطين، إلا أنها كانت على العموم ضد الاحتلال اليهودي لها. ولكن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت مواقفها ثابتة وراسخة من حيث المبدأ، فقد ازداد موقفها أكثر فأكثر لمساندة القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني باعتبار أن جمعية العلماء خلال هذه الفترة من الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن العشرين كانت الوضعية مختلفة عمّا كانت عليه، فأمّا بالنسبة للجمعية هو فقدانها لزعيمها الأول وأحد أعمدتها وركائزها الشيخ عبد الحميد ابن باديس، وأمّا بالنسبة لفلسطين فقد أصبح واقعها أسوأ كما هو الحال للجمعية، وعلى العموم فإن لجمعية العلماء مواقف جِدُّ مشرِّفة حول هذه المسألة وهذا ما تبيّنه أفعالها وأقوالها من مقالات أعضائها ومحبيها في صفحات جريدتها ولسان حالها "البصائر" قبل وبعد عام 1947، حيث قلَّ ما نجد عددا من أعدادها لا يتناول القضية الفلسطينية خاصة، والعالم العربي والإسلامي عامّة. حِرْصًا منها على التفاعل التشاركي لمناهضة الاستعمار الأوروبي من جهة والاستعمار اليهودي من جهة أخرى.. فمن هذا المنطلق حاولت هذه المقالة (الدراسة) أن تبحث في جزئية من مواقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المتعلق بدورها لمساندة فلسطين شعبا وأرضا؛ ماديا ومعنويا، انطلاقا من الشعب الجزائري في إطاره المحلي وشحذ هِمَم الشعوب العربية الأبيّة لمؤازرة قضية فلسطين، كمحاولة منها لبثِّ الفكر الوحدوي كمنطلق للحركات الوطنية العربية والإسلامية.

أهمية وأهداف الدراسة: تكمن أهمية هذا البحث في إبراز دور وموقف أحد العناصر الفاعلة في الحركة الوطنية الجزائرية أثناء الاحتلال الفرنسي. وتقديم أفكار جديدة حول الدور الحقيقي للحركة الوطنية الجزائرية، خاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كطرح مشكلات بحثية جديدة حول الإجراءات التفاعلية للشعب الجزائري تجاه فلسطين المحتلة انطلاقا من جمعية العلماء الجزائريين.

مشكلة الدراسة: تتمحور إشكالية البحث حول أهمية فلسطين والقدس لدى الشعب الجزائري من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إطار الحركة الوطنية الجزائرية المناهضة للوجود الاستعماري وتتلخّص في: " فيم كانت تكمن أهمية فلسطين لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء الحركة الوطنية ودورها التحرري في مواجهة السياسة الغربية والصهيونية في فلسطين؟ وما هي مدلولات مواقفها التفاعلية في ذلك؟ "

حدود الدراسة: هذا البحث يدور في إطارين؛ مكاني وزماني محدودين من حيث الأحداث والوقائع التاريخية، التي وقعت في المنطقة العربية بصفة عامة، وفي فلسطين والجزائر بصفة خاصة بين عامي 1948 و1954، وهي بداية الاحتلال الصهيوني لفلسطين والقدس، أمّا 1954، تمثلت في قيام الثورة التحريرية الجزائرية التي شكّلت مُنعرجا جديدا لجمعية العلماء، فأصبحت تحت رقابة شديدة من طرف سلطة الاحتلال الفرنسي، وانشغالها بأحداث الثورة التحريرية الجزائرية في الداخل والخارج (دون نسيان القضية العربية والإسلامية في فلسطين..).

أولاً– لمحة مختصرة عن منشأ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وغايتها:

اسمها الحقيقي "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (دعاة الإصلاح)"، أُسِّست يوم 05 مايو/أيار 1931[1]، بنادي الترقي، بالجزائر العاصمة، من قبل مجلس ضمَّ الإصلاحيين وأصحاب بعض الطرق الدينية الذين يمثلون الزوايا[2]، إلا أنّ الإصلاحيين لم يتمكنوا من فرض توجهاتهم وإيصال الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى رئاسة الجمعية إلا في سنة 1932[3]. وقد انتهجت أسلوبا مهادنا نسبيا لسياسة المحتل، مستغِلّة تجاهله عن بعض مواقفها، متغاضيا أحيانا عن نشاطها، ما دامت –في نظره– لا تشكِّل خطرا عليه، من أجل بناء استراتيجيتها وتطبيق برامجها التربوية الإصلاحية بالأساس[4]. ولأنّها كانت تنظر إلى التربية والتعليم والإصلاح على أنهما أهم أسس البناء والتغلّب على الاستعمار وأفكاره.

وتُعدُّ جمعية العلماء حركة ذات قاعدة شعبية لا مثيل لها في تاريخ الجزائر، رسّخت الإيمان بالجزائر وبعث روح الوطنية عن طريق خلق الوعي الديني والاجتماعي، فقد برزت كحركة سياسية إسلامية ذات عمق اجتماعي، في إطار الصحوة الإسلامية وحركاتها التحررية في العالم العربي والإسلامي خلال القرن العشرين، في وقت ظنَّ الجميع أن الجزائر أصبحت مندمجة كليا في الكيان الفرنسي، فتجلّيها عن هويتها وشخصيتها الوطنية[5].

ويمكن تلخيص أهدافها في[6]:

- إحياء الدين الإسلامي وتطهيره من الشوائب والمخلّفات الخرافية العالقة منذ قرون.
- العمل من أجل بعث روح الأمة بتطوير الثقافة العربية الإسلامية.
- الاعتماد على نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية.
- السعي لتوحيد صفوف أبناء الأمة.
- توعية نشء الأمّة بالشخصية الجزائرية وتهيئته للنضال في المستقبل.
- إقامة جسور للتعاون بين الجزائر والعالم العربي.
- الدعوة لتوحيد الجهود المشتركة بين أبناء المغرب العربي.
- تحكيم مصلحة الأمّة قبل أي مصلحة بالعمل على توحيد صفوف الأمّة، كما ذكر ابن باديس قائلا "عِنْدَ المصلحةِ العامَّةِ منْ مصالح الأُمَّةِ، يَجِبُ تَنَاسِي كلَّ خلافٍ يُفَرِّقُ الكلمةَ ويصدعُ الوحدةَ ويُوجِدُ للشرِّ الثَّغْرَةَ. ويَتَحَتَّمُ التآزر والتَّكَاتفُ حتى تَنْفَرِجَ الأزمةُ، وتزولُ الشّدةُ بإذن الله، ثمَّ بقوَّةِ الحقِّ، وإدّراعِ الصَّبر، وسلاحِ العلم والعملِ والحكمة[7].

وكانت بعض تقارير شرطة سلطة الاحتلال الفرنسي تنظر إلى الغاية الأساسية من جمعية العلماء لإعادة بناء الهوية الوطنية الجزائرية ماديا ومعنويا، هو إرساء الروح الوطنية والدفاع عنها[8].

ويتّفق العديد من الباحثين على أن جمعية العلماء اتخذت الخطوة الأولى من تأكيد فكرة الإسلام هو العنصر الأساسي في هوية الشعب الجزائري " الإسلام ديني، واللغة العربية لغتي والجزائر وطني"، فهذه الثلاثية لها طابع سياسي وهذا ما يؤكّده اندماجها في جبهة التحرير الوطني عام 1956[9]. فكانت لها وسطية في ممارسة السياسة تحت غطاء الدِّين، وتُسهم في إعداد الأجيال

(1) الإبراهيمي، الآثار، ط1، (ج71/1).
(2) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص(45 – 47).
(3) Ben Youcef Ben Khedda, les Origines du Premier Novembre **1954**, p 46.
(4) الصادق بخوش، الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية، (ص 97).
(5) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، (ص 245).
(6) المرجع السابق، ص(246 – 247).
(7) الشهاب، دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها، (ج4-مج 179/13).
(8) Archives Aix en Provence, France, documents Internes, Fonds ministériels, 81F / 939.
(9) Mouna Abid, EL ISLAMISMO Y SU REFLEJO la crisis Argelina en la prensa espanola, Pp(55 – 56).

لمستقبل موعود، إلى أن حلّت هياكلها سنة 1956، كبقية الأحزاب الجزائرية في "جبهة التحرير الوطني" أثناء الثورة المسلّحة، ليلتحق معظم أفرادها بالثورة، فكان من تلاميذها وطلبتها العديد من قادة الثورة وشهدائها البررة [10]

وإن كانت جمعية العلماء تتفاعل سياسيا –إن صح القول– ليس في إطار العمل الحزبي البحت، وإنما من منطلق عدم فصل العمل السياسي عن الدين، فقد تحدث ابن باديس ذات يوم رَدّا على من تساءل عن اهتمام العلماء بالعمل السياسي[11]، حيث قال: "وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معا، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول؛ لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم، والابتعاد عن مسالك السياسة، مع أنه لابدّ لنا من الجمع بين السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بِجِد"[12].

وانطلاقا من العبارة الأخيرة، نلمح إشارات تُدعِّم المدافعين عن نشاط جمعية العلماء بخصوص تَطرُّقها للمواضيع السياسية والتفاعل معها، عكس من اتهمها بالخروج عن مبادئها.

فمنذ وجودها كانت تدرك حقيقة المسؤولية وخطورتها. فالوضع الاستعماري كان يزداد هيمنة أكثر فأكثر؛ ما جعلها يتحتّم عليها المشاركة في إبداء وجهة نظرها وإبراز مواقفها التفاعلية مع جُلّ المسائل والقضايا–السياسية خاصة– التي شهدتها الجزائر ابتداء، ثم العالم الإسلامي والعربي بشقيه المشرقي والعربي على حد سواء.

ثانيا– جمعية العلماء وفلسطين بين الأهمية والإعانة:

من الناحية التاريخية استهدفت بريطانيا فلسطين بما فيها القدس أكثر من أيّ منطقة أخرى في الشام، وركّزت اهتمامها بإطلاق الهجرة الصهيونية، وإطلاق يدهم في امتلاك الأراضي ومحاولة إضعاف الفلسطينيين هناك؛ من أجل تكوين دولة يهودية فيما بعد[13].

فبعد الاحتلال الغاشم الذي شهدته فلسطين من طرف الصهاينة، إثر خروج الاحتلال البريطاني خلال عام 1948، تناولت جمعية العلماء هذا الحدث الجلل في مواقف عديدة يتجلى مظهرها في قوالب اجتماعية ودينية، ولكن أهمها موقفها السياسي من الاحتلال الصهيوني لدولة عربية إسلامية، فحاولت أن تُبدي رأيها وموقفها، لا على أنه مجرّد مشكلة عربية جديدة فحسب، بل لأنها تدرك تمام الإدراك ما لخطورة هذا الحدث الكبير، فجمعية العلماء تعلم بأن العالم العربي أصيب بوخزة استعمارية جديدة في رقعة العالم العربي، ولأنه واقع اغتصاب، وسلب جديد للعرب والإسلام.

ولعلّ أهم ما يمكن تناوله في مواقف جمعية العلماء في هذا الصدد، مختلف مقالات الشيخ الإبراهيمي[14] نُشِرت غالبيتها في جريدة البصائر في شكل سلسلة بعنوان "دموع على فلسطين" التي بدأ نشرها في أيلون/سبتمبر 1947م، ومما جاء فيها : "يا فلسطين؛ إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية، وعلى لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة هي؛ فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل ان تكون قطعة من وطني

(10) الصادق بخوش، الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية، (ص 97).
(11) وكان ذلك تحديدا خلال أحد زياراته الروتينية لتونس أثناء لقاءاته مع الطلبة الجزائريين الزيتونيين.
(12) محمد قورصو، عبد الحميد بن باديس، نصوص مختارة، (ص 115).
(13) أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، مج:3، إمارة شرق الأردن وقضية فلسطين وسقوط الدولة الهاشمية وثورة الام، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، د.س، ص 612.
(14) الشيخ محمد الإبراهيمي؛(1898-1956) عالم من علماء الجزائر، فقيه، أديب، لسان بديع وقلمه سيّال، من أبرز قياديي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كان مناضلا ومجاهدا في سبيل تحرير الجزائر وشعبها من التسلط الاستعماري الفرنسي، كان من أكبر المناهضين للفكر الاستعماري الغربي للبلاد العربية والإسلامية وغيرها.. اعتقل عدة مرات بسبب مواقفه ومواقف جمعية العلماء، هو الرئيس الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، انتقل إلى المشرق العربي أين فتح مكتب للجمعية بالقاهرة لتكون همزة وصل بين الجزائر والعالم العربي الإسلامي لتوضيح الرؤية حول قضية الجزائر.. ساهم في الكثير من القضايا العربية والإسلامية، ومنها قضية فلسطين والقدس، فقد كانت له نظرة إصلاحية تشمل الدين والسياسة معا. توفي بعد استقلال الجزائر ودُفن فيها.. (ينظر: محمد البشير الإبرايهيم، في قلب المعركة،1954-1962، تقديم أبو القاسم سعد الله، الجزائر، شركة دار الأمة، 1994، ص220 – 230).

العربي الصـغير، وفي عنق كل مسـلم جزائري لك –يا فلسـطين– حق واجب الأداء، وذمام متأكد الرعاية، فإن فرط في جَنْبك، أو أضاع بعض حقك، فما الذنب ذنبه، وإنما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه، والمرء وداره، والمسلم وقبلته"[15].

ورأى الإبراهيمي أنّ الاحتلال الصـهيوني لفلسـطين يرجع إلى منطلق ديني وعقائدي أكثر منه احتلال أرض من أجل تعميرها؛ "إن الصـهيونية فيما بلونا من ظاهر أمرها وباطنه نظام يقوم على الحاخام والصـيرفي والتاجر، ويتسـلح بالتوراة والبنك والمصـنع وغايتها جمع طائفة قُدِّر لها أن تعيش أوزاعا بلا وازع، وقُدِّر لها أن تعيش بلا وطن، ولكن جميع الأوطان لها، فجاءت الصـهيونية تحاول جمعها في وطن تسميه قولا فلسطين، ثم تُفسِّره فعلا بجزيرة العرب كلها، فهو في حقيقته استعمار من طراز جديد في أسلوبه ودواعيه وحججه وغاياته، يجتمع مع الاسـتعمار المعروف في أشـياء... وتعتمد قبل كل شـيء على الذهب، تشـتري به الضـمائر والأرض والسلاح وتشتري به السكوت والنطق وتشتري به الحكومات والشعوب، تعتمد عليه وعلى الحيلة والمكر والتباكي والتصاغر في حينه، وعلى التنمّر والإرهاب في فرصته[16].

تذكير العرب والمسلمين بأن لفلسطين أصل عربي يتجذّر في عُمق التاريخ وموطن عريق للعرب استقروا فيها العرب أكثر مما اسـتقر اليهود، وتمكن فيها الإسـلام أكثر مِما تمكنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر ما غلبت التوراة، وسـادت فيها العربية أكثر مما سادت العبرية، وما الانتداب الإنجليزي إلا باطل ليس من مصلحة العرب، ولا من مصلحة اليهود[17].

إضافة إلى الإشادة بحقيقة الجزائر وعلاقتها بالعروبة مهما وضعت فرنسا الاستعمارية في الجزائر من تحريف الحقائق وتزييف لتاريخ الجزائر وتوضـيح سـياسـة الاسـتعمار في تجزئة العرب جغرافيا وسـياسـيا؛ حتى يُخلخل ويُزعزع الروابط العربية، كما أكد الإبراهيمي عبر صحيفة "البصائر" على أن الجزائر ستظل مع قضايا العرب والمسلمين وقضية فلسطين ما بقيت العروبة تحيا فيها، فذكر: "أيظن الظانون أن الجزائر – بعراقتها في الإسلام والعروبة– تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسه؟! لا والله، ويأبى لها ذلك شرف الإسلام ومجد العروبة ووشائج القربى، ولكن الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته، وأبى حلها لمصـلحته، وقايض بفلسـطين لمصـلحته هو الذي يباعد بين أجزاء الإسـلام؛ لئلا تلتئم، ويقطع أوصـال العروبة؛ كيلا تلتحم، وهيهات هيهات لما يروم"[18].

كانت جمعية العلماء ترى أنّ هذه القضـية ليسـت مقتصـرة على بُعد جغرافي واحد؛ بل يتعدى ذلك إلى كل مكان يتواجد به العربي والمسـلم؛ لأنها من أكبر المحن التي أصـابت العالم العربي، فالكل يهمُّهم أمرها. فنادى الإبراهيمي كلَّ مَن يَهُمُّه الأمر من العرب تذكيرا منه بأن هذه القضية ما هي إلا امتحان كبير سيذكرها التاريخ حيث قال: "أيها العرب إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضـمائركم وهممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم، وليست حقوق العرب فيها تُنال بأنها حق في نفسـها، وليسـت تنال بالهوان والضـعف، وليسـت تنال بالشـعريات والخطابيات، وإنما تنال بالتصـميم والحزم وبالاتحاد والقوة"[19].

رأى الإبراهيمي ضرورة الاتحاد والتكاتف فيما بين العرب والمسلمين في إطار جماعي موحّد، حتى يستطيعوا مواجهة تكاتف وتضامن اليهود، ومن يقف وراءهم من الدول الاستعمارية الأخرى. فقال: "إن الصـهيونية وأنصارها مُصمِّمون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه، وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه".

وكونوا حائطا لا صدْع فيه *** وصَفًّا لا يرقع بالكسالى[20].

(15)- الإبراهيمي، دموع على فلسطين، جريدة البصائر. العدد:05، 20 شوال 1366هـ/ 5 سبتمبر 1947م، (ص 1 – 2).
(16)- المصدر السابق. (ص 1-2).
(17)- المصدر نفسه. (ص 2).
(18)- المصدر نفسه.
(19) الإبراهيمي، دموع على فلسطين، جريدة البصائر، العدد(05)، (ص1 – 2).
(20) المصدر السابق، (ص2).

لم تتوان جمعية العلماء للحظة عن التفاعل مع قضـــية فلســـطين واعتبارها قضـــية ذات مكامن وجوهر يُحتّم على كل عربي ومسلم المبادرة في نُصرة هذه المسألة المشروعة، فاتخذت من وسائلها المتاحة؛ خاصة الإعلام المكتوب كمجلة الشهاب بداية ثم جريدة البصـــائر مِنبرا لإعلاء كلمة الحق –حســب ما كانت تراه– للوقوف في وجه العدوان الاســتعماري وما قاموا به في مســاعدة الكيان الصـــهيوني في تأســيس وطن ليس لهم بتقديم العون ماديا ومعنويا، وحســب ما كانت تقدر عليه[21]؛ لضـــرب وحدة العالم العربي، وزيادة الهيمنة الاستعمارية أكثر فأكثر عليه؛ من أجل تمزيقه وتشتيته وهذا ما كانت تخشاه، فلم تغفل عن قضية فلسطين، وربما تناولتها أكثر مما تناولت أي قضـــية أخرى. فعملت على تجســـيد موقفها من الأقوال إلى الأفعال، فبدأت ملامح تقديم العون المادي لفلسطين حتى قبل الاحتلال الصهيوني، وهذا لكون الإعانة والمساعدة المادية والمالية لها أهمية كبيرة خاصة بعد التهجير.

أ- أهمية إعانة فلسطين ودعمها ماديا:

إن وضعية فلسطين وتنامي قضيتها لم يُثن جمعية العلماء من تناولها سياسيا بطرح قضيتها ومناقشتها وتحليل أحداثها معنويا فقط، بل أرادت أن تُســـهم في إعانتها ماديا من خلال الجمعيات والأحزاب الوطنية المحلية وحتى الخارجية، فأهم إجراء قامت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين –سعيا منها لمساندة ومساعدة وإغاثة الفلسطينيين من نكبتهم– هو إنشاء "الهيئة العُليا لإغاثة فلسطين".

ولكن قبل ذلك وفي عهد رئيسها الأول الإمام ابن باديس اعتبرت جمعية العلماء القضية الفلسطينية قضيتها المصيرية، حيث قام في حزيران/يونيو عام 1936 بفتح اكتتاب لجمع الأموال لتدعيم عرب فلســـطين، وقدّم طلب رخصـــة في ذلك من الســـلطات الاستعمارية الفرنسية، ورغم منع سلطة الاحتلال نشر أي منشورات ومعلّقات تتعلق بفلسطين، إلا أن جمعية العلماء استطاعت أن تُوصِل صدى القضية الفلسطينية لأوساط الشعب متحدّية السلطة الاستعمارية، وبرز ذلك التحدي في وجود الكثير من المنشورات تحمل عنوان "على هامش أحداث فلسطين" وكانت تُباع في الأكشاك بمدينة قسنطينة[22].

قام أغلب أعضـــاء الجمعية بتنظّيم اجتماع خاص بنادي الاتحاد[23] بمدينة قســـنطينة شـــرق الجزائر يوم 18 حزيران/ يونيو 1936، وذلك بهدف تكوين لجنة تتكفل بجمع الأموال وإرسـالها إلى الفلسـطينيين، ووزعت قوائم الإمضـاء الخاصـة بالبترعات بين الشباب المسلمين والمتطوعين الوطنيين، والمتعاطفين مع القضية الفلسطينية[24].

ب- لجنة إغاثة فلسطين الجزائرية:

استمرت دعوة جمعية العلماء تساند فلسطين منذ الثلاثينات من القرن العشرين حتى ظهرت إلى الوجود "لجنة إغاثة فلسطين" في حزيران/يونيو1948 برئاسـة الشـيخ الطيب العقبي[25]، ونَتَج عن ذلك انتشـار الوعي في أوسـاط المسـلمين الجزائريين بالقضـية الفلسطينية، وكثرت التبرعات المالية لصـالح الفلسطينيين ضـحايا الصـهيونية. ولم يقتصـر اهتمام جمعية العلماء على جمع الأموال في المدن الجزائرية الرئيسية والتنديد بتصرفات الاستعمار الإنجليزي في فلسطين فَحَسْب، وإنّما تعدّاه إلى توزيع قوائم الاكتتاب سِرّيا

(21) حمودي، مواقف الجزائريين من القضية الفلسطينية 1945– 1973، (ص 86 – 102).
(22) مورو، بعد 50 عام من سقوط الأندلس 1492 – 1992م. الجزائر تعود لمحمّد صلى الله عليه وسلم، (ص367).
(23) نادي الاتحاد من بين الأندية التي كانت تعتمد عليها جمعية العلماء بولاية قسنطينة شرق الجزائر لتنفيذ برامجها وتحقيق أهدافها.
(24) المرجع السابق، (ص 367).
(25) الشـيخ الطيب العقبي (1890-1960) عالم جليل؛ قبل رجوعه إلى الجزائر عاش طفولته وشـبابه في الحجاز بين المدينة ومكة المكرمة، من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورغم بعض الخلافات العادية بينه وبين الشيخ عبد الحميد بن باديس؛ إلا أنه بقى وفيا لمبادئ جمعية العلماء حتى بعد وفاة الشـيخ بن باديس، فقد كان اختلافه مع ج ع من حيث الوسـائل ليس الغايات والأهداف.. رحم الله الجميع. (ينظر: عمورة، 2006، الجزائر بوابة التاريخ إلى 1962، (ص348).

في المدن الجزائرية الساحلية والداخلية وأغلب مناطق الجزائر، وأعطت الجمعية أوامرها إلى الشيخ الفضيل الورتلاني[26] ممثلها في باريس والشيخ السعيد صالحي ممثلها في مرسيليا لمواصلة الدعوة لنفس الغرض[27].

كان هناك جموح للجزائريين عن المشاركة في بدايات وإرهاصات هذه اللجنة الإغاثية، خوفا من التسلُّط والقمع الاستعماري؛ ما جعل جمعية العلماء تستغرب موقف الجزائريين من عدم تلبيتهم لِدعوة الجمعية من المسارعة والمبادرة في جمع المال من أجل فلسطين، مع العلم أنّ أغلب الصحف الجزائرية الوطنية تناولت هذه القضية في مختلف جوانبها حتى بادرت الجمعية عن طريق "البصائر" ببث الهمم لأجل ذلك وعدم الاكتراث لوعيد الاستعمار، ومما جاء من عباراتها الباعثة في روح التضامن الجزائري للفلسطينيين؛ " ولكن يا للأسف و يا للعجب معا إلى الآن لم تسمع ولو بجزائري واحد قدّم ولو فرنكا واحدا، فماذا ننتظر يا ترى؟"[28] ومتى نحن قمنا بإمداد فلسطين بالمال نكون قد عززنا موقف كتيبتنا المغربية المجاهدة الآن في صفوف إخواننا المشرقيين"[29].

لعبت تلك العبارات والخطب والمحاضرات في المساجد وفي النوادي وغيرها دورا مهما في نفوس الجزائريين، وبدأت تتحرك لنصرة الفلسطينيين، خاصة بعدما تم الاتفاق بين أعضاء الحركة الوطنية وبعض الجمعيات والشخصيات الجزائرية، إذ قامات هذه الهيئة بإصدار بيان في 14 حزيران/يونيو 1948 أعلنت من خلاله التعريف بحقيقة هذه الهيئة وأهدافها ودورها، مع التنويه بالأطراف الذين لم ينضموا إليها[30].

ومما جاء فيه: "قد تأسست بالجزائر، لجنة لإعانة فلسطين؛ للتعبير عن تضامن الشعب المسلم الجزائري مع أخيه الشعب الفلسطيني، وقد اشتملت على شخصيات من جميع العناصر لدينية والسياسية وهي الآن متركّبة من الأعضاء الآتية أسماؤهم الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي والشيخ إبراهيم بيوض[31] والأستاذ فرحات عباس. فكان الشيخ الإبراهيمي رئيسا وفرحات عباس كاتبا عاما والطيب العقبي أمينا للمال أما إبراهيم بيّوض نائب أمين المال[32].

وقد وجهت اللجنة برقيات إلى سعادة عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية وإلى كل من رئيس مجلس الوزراء ووزير خارجية فرنسا.

منذ ذلك الوقت تشكّلت لجنة تنفيذية تكوّنت من رجال العلم والمال والفكر والثقافة ورجال الأعمال[33] لتباشر سائر الأعمال التي تكلفها بها للجنة المذكورة[34] ؛ من أجل جمع التبرعات انطلاقا من مدينة الجزائر[35]

(26) الشيخ الفضيل الورتلاني كان من أنشط شباب جمعية العلماء في المشرق العربي بعدما استدعاه الإبراهيمي لرفقته لإدارة وتنشيط مكتب الجمعية في القاهرة، فقد جال وزار معظم البلاد العربية والإسلامية من أجل تعريف القضية الجزائرية بعدما كادت تصبح الجزائر فرنسية في أذهان العرب بسبب الإعلام الاستعماري في المشرق العربي.. فكان الورتلاني ممن ساهموا في دحض مزاعم فرنسا بفرنسية الجزائر، فقد كانت له أفكار ثورية تحررية دمج بين فكر جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الذي أخذه عن شيخ ابن باديس... وكان له أثر كبير في تغيير ذهنية الشعب اليمني لمّا كان رفقة الأسرة المالكة، حتى اتهم بمقتل أميرها.. ثم غادرها باتجاه الشام وتركيا إلى غاية وفاته بتركيا خلال 1959، ثم نقل جثمانه بعد الاستقلال إلى الجزائر... (أنظر: الفضيل الورتلاني، 2009، الجزائر الثائرة، (ص30-36).
(27) المرجع نفسه، (ص 368).
(28) توفيق المدني، البصائر، العدد(38)، (ص 05).
(29) المرجع السابق، (ص 05).
(30) الأطراف الذين لم ينضموا إلى هيئة إغاثة وإعانة فلسطين هم جماعة الزوايا وحركة انتصار الحريات الديمقراطية أثناء الاتفاق على هذه الهيئة ومما جاء في بيانها المُعلن ".. هذا وإن ممثل الجماعة الزوايا قد عُرضت عليه المسألة للمشاركة ولا نزال ننتظر جوابه.. ومن جهة أخرى فاللجنة تأسف من السيد مصالي الحاج في عدم قبوله المشاركة فيها بعدما وافق على الانخراط فيها أولا ثم انسحب ذلك أخيرا لاعتبارات حزبية...
(31) الشيخ إبراهيم بيوض (1899-1981)؛ من علماء الجزائر، وأحد العلماء الجزائريين البارزين في الإقليم الجنوبي من الجزائر ببني ميزاب، دخل المعترك السياسي فانتخب في المجلس الجزائري 1948، وعند اندلاع الثورة كان من السبّاقين في الانضمام إليها (ينظر: بن ساعو، (2016)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954-1962 ،(ص155).
(32) الإبراهيمي، الآثار، (ج2/ 210).
(33) المصدر السابق، (ج2/211).
(34) البصائر، العدد(41)، ص(06).
(35) الإبراهيمي، الآثار، (ج2/211).

ت– دور هيئة لجنة إغاثة فلسطين الجزائرية من خلال برقياتها:

قامت الهيئة برئاسة جمعية العلماء عن طريق الإبراهيمي، بإرسال العديد من البرقيات للإشعار بعملها إلى عدة جهات رسمية وغير رسمية، وعلى رأسها جامعة الدول العربية، وإلى كل من رئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيته، أما بالنسبة إلى الرسالة التي تم إرسالها إلى الأمين العام للجامعة العربية فكان مفادها : "إلى سعادة – عبد الرحمن حسن – عزام باشا الكاتب العام لجامعة الدول العربية القاهرة، نحيطكم علما بتأسيس لجنة لإعانة وإغاثة فلسطين من الهيئات والشخصيات للشعب الجزائري. وباسم هاته اللجنة نعبِّر لكم عن تضامن الشعب المسلم الجزائري مع الدول العربية في كفاحها ضد الاستعمار الصهيوني وتتمنى لها النجاح في قضية العرب العادلة"[36].

أما بالنسبة لرسالة اللجنة إلى رئيس وزراء فرنسا وزير الشؤون الخارجية روبيرت شومان نفسه، فكان فحواها كما يلي: "إنّ لجنة إغاثة فلسطين المشتركة من هيئات قد تألّمت وتأثّرت بتصويت المجلس الوطني على إيذاء عواطفه نحو دولة إسرائيل المزعومة تصويتا يعتبر تعدِّيا وتحديا للعالم الإسلامي، وهي تحثُّ جامعة الدول العربية إلى التساهل الذي تلاقيه الدعاية والمؤسسات الصهيونية ذات الصبغة الاستعمارية، المضادة للديمقراطية، ونُلفت نظر الحكومة الفرنسية إلى عواقب الاعتراف بالدولة الإسرائيلية المزعومة الذي من شأنه أن يصادم عواطف 25 مليونا من مسلمي شمال أفريقيا المتضامن مع إخوانهم عرب فلسطين ويوتر العلائق بين فرنسا والإسلام"[37].

ولمّا انتشر صدى هذه اللجنة الجزائرية لدى الأوساط العربية السياسية والاجتماعية لاقت استحسانا وتأييدا وتشجيعا، فكان انتشار نبأ نُصرة الجزائريين لفلسطين في بلدان المغرب والمشرق العربيين ومنها فلسطين، سارع مفتيها الحاج الأمين الحسيني ببعث رسالة إلى الشيخ الإبراهيمي مؤرّخة بالقاهرة في 24 أغسطس 1948 أثنى فيها على جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[38]. ومما جاء فيها: "ولم يحد الإعلان المشؤوم عن ميلاد الدولة العِبرية على أرض فلسطين الزكية من عزيمة رجال جمعية العلماء، بل زادهم صلابة في المواقف. فنجد رئيسها الشيخ الإبراهيمي يبادر بتقديم مكتبته الثمينة لأيّة هيئة تتقدم للقيام بواجب إعانة فلسطين ماليا"[39].

كما حاولت جمعية العلماء أنْ تُشيد عبر صحيفتها لسان حالها "البصائر" ، التي اتخذتها منبرا للسياسة الداخلية والخارجية حسب الظروف في ذلك، وهذا ما ساعدها في إبراز قضية فلسطين منذ بدايتها، والتي قد كرّرت مرارا وتكرارا دور العمل السياسي للأحزاب الوطنية في حق فلسطين عليها لنصرة قضيتها، وهذا ما أكّدته جمعية العلماء عبرها، باستغلال كل الظروف من أجل توحيد الصفوف ضد الاستعمار، فقضية فلسطين كانت أحد العوامل التي كثيرا ما كانت تنادي جمعية العلماء باتخاذها سببا مباشرا من أجل توحيد الصفوف، ففلسطين قضية لا تُحل إلا باتحاد العرب والمسلمين، وكمبادرة لتوحيد صفوف العرب في الجزائر أولا ثم باقي العرب، تمثلت في مبادرة جمعية العلماء لإنشاء هيئة عُليا لإعانة وإغاثة فلسطين. وقد قبلها كل من فرحات عباس والشيخين إبراهيم بيوض والطيب العقبي والشيخ الإبراهيمي بصفته رئيسا لها. وخاب أملها في بعض العناصر الفاعلة في الحركة الوطنية على غرار حركة انتصار الحريات الديمقراطية[40] التي رفضت الدعوة بحُجّة أنها كانت تريد أن يكون رئيس الهيئة مصالي الحاج شرط انضمامهم. لكن تزكية أغلب أعضاء تلك الهيئة حال دون طلب حركة انتصار الحريات الجزائرية، مما جعلها تنسحب كحزب،

(36) عن: الإبراهيمي، فرحات عباس، الشيخ بيوض والشيخ العقبي، جريدة البصائر، العدد(41)، (ص06).
(37) المرجع نفسه. (ص 06).
(38) مورو، الجزائر تعود لمحمد صلى الله عليه وسلم، (ص 376).
(39) المرجع السابق، (ص 375).
(40) حركة انتصار الحريات الديمقراطية ظهرت على أنقاض حزب الشعب الجزائري بعد العفو الشامل (فرنسا) في 1946، بقيادة مصالي الحاج، صاحب مبدأ الثورة والتحرر والاستقلال عن فرنسا، والذي بدأت تدبُّ فيه خلافات حول القيادة منذ 1953، التي أدت في النهاية إلى ظهور حزب وجيش التحرير الوطنيين لقيادة الثورة التحريرية (1954 – 1962) والتي انضمت إليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ بداية انطلاقها بصفة غير رسمية، ثم بصفة رسمية في كانون الثاني يناير1956..

مع بقاء العديد من أعضاء هذا الحزب مناصرين ومدعِّمين لهذه الهيئة دون غطاء حزبي[41]. لأن غاية الجزائريين بالنسبة لفلسطين هي مشتركة تذوب فيها الخصومات الحزبية.

إذن فالاهتمام البالغ لجمعية العلماء بضرورة إعانة فلسطين جعلها من أوائل المُبادرين والسّبّاقين لذلك، على المستوى المحلي الوطني عكس ما تدّعيه غيرها[42]، ورغم ذلك فكانت تنادي دوما بإبعاد العراقيل الشخصية الضيقة في سبيل المساهمة والمساعدة لغير الجزائريين حتى وإن كانت مشغولة بقضاياها الداخلية مع سلطة الاحتلال الفرنسي، فربما كانت معذورة في ذلك.

إن مجمل القول مما سبق فإن جمعية العلماء، لم تقف أمامها العراقيل السياسية داخل الحركة الوطنية والمراقبة الاستعمارية من الإسهام في تـــأسيس هيئة عاملة من أجل فلسطين، حيث تأسست ثم تألّفت لجنة تنفيذية بالعاصمة من رجال العلم والثقافة ورجال الأعمال والاقتصـــاد وشـباب العلم، وبدأت هذه الهيئة بإرســال برقيات تأييد للأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام باشـا، كما أرسـلت برقيات احتجاج واسـتنكار للحكومات المسـؤولة عن التخاذل في وجه فلسـطين وقضـيتها، ويمكن إيراد ما قاله الإبراهيمي بخصـوص مجهوداتهم المادية لأجل فلسطين، ومما ذكره في البصـائر: "إعانة فلسـطين فريضـة مؤكدة على كل عربي ومسلم، وإذا تأخرت الجزائر عن إعانة فلسطين بالمُمْكِن المَيسور فعُذرها أنها كانت مُنْهمِكة بالمطالبة بحقها في الحياة، في صـراع مستمر مع الاستعمار"، فكانت هذه الجريدة كتبت فصولا متتابعة في قضية فلسطين شرحت فيها كثيرا من الخفايا والخبايا، وكانت هذه الجريدة تكرر دعوة الأحزاب إلى الاتحاد في الشؤون الداخلية واتخذنا من قضية فلسطين وسيلة جديدة للاتحاد عسى أن يجتمع عليها ما تشتتت من القلوب النافرة[43].

فانتقاد حركة انتصـار الحريات الديمقراطية حول هذا الحدث يرجع إلى ضـرورة التكاتف حول قضـية مهمة جدا بالنسـبة للعرب والمسلمين فكان أولى الاتحاد من أجل نصرة الفلسطينيين بعدما خذلهم الأقرباء، فهي مسألة سياسية ذات أبعاد اجتماعية، والحالة تلك في غنىً عن من يتولى رئاسة الهيئة أو اللجنة، وهذا ما جعل جمعية العلماء تتساءل مستغربة عن ذلك.

الهيئة –الجزائرية– المُســاندة لفلســطين لم يقتصــر دورها على جمع التبرعات المادية والمالية، بل قامت بإرســال عدد من المجاهدين الجزائريين إلى فلسطين للمشاركة في القتال ضد الصهيونية. ناهيك على إرسال مبالغ مالية كبيرة تضاربت الأرقام عنها بين 3ملايين أو 7 ملايين فرنك لدعم الجهاد الفلســطيني[44]. بالإضـــافة إلى ما أورده الكاتب العام لجمعية العلماء أحمد توفيق المدني[45] بأن، جمعية العلماء بواسطة هذه الهيئة ساهمت بجمع مبلغ قُدِّر بـــــ 4 آلاف فرنك فرنسي، قام هو بنفسه بتقديم ذلك المبلغ سفير مصر بباريس محمود فخري باشا، حسب ما أوصت به الجامعة العربية من أجل الجهاد الفلسطيني[46].

(41) مورو، الجزائر تعود لمحمد صلى الله عليه وسلم، (ص 375).
(42) - المقصـــود هنا حركة انتصـــار الحريات الديمقراطية؛ التي؛ كان بعض الباحثين يُقرُّون بأن هذه الحركة كان لها باع طويل في إعانة فلسـطين منذ ظهور قضـيتها إلى غاية انطلاق الثورة التحريرية (1947-1954).. وهذا لا يُنكَر كمبدأ لنصـرة القدس وفلسـطين، ولكن لم تكن أفضـل حالا من جمعية العلماء، لأن صـحافة جمعية العلماء منذ الثلاثينات من القرن العرشـين وهي تسـعى إلى مسـاندة القضـية الفلسـطينية قبل وأثناء، وبعد الاحتلال البريطاني ثم الصهيوني... قبل أيّ حزب سياسي في الجزائر المحتلة. كما تم توضيح ذلك خلال هذه المقالة.
(43) الإبراهيمي، البصائر، العدد(41)، ص02.
(44) مورو، الجزائر تعود لمحمّد صلى الله عليه وسلم، (ص 73).
(45) الشيخ الأستاذ أحمد توفيق المدني؛ (1899-1983)؛ جزائري الأبوين ، تونسي المولد، كانت مواقفه ضد الهيمنة الاستعمارية، فقد استغل تجربته السياسية في تونس ووظفها في الجزائر بعد طرده من تونس في 1925، أصبح عضوا بارزا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ، بعد اختياره كاتبا عاما للجمعية، أصـبحت جريدة الجمعية ولسـان حالها البصـائر تتميز بوفرة في المواضـيع السـياسـية المحلة والعربية، ، وفي 1956 التحق بجبهة التحرير الوطني (الثورة التحريرية) فتم تعيينه عضـــوا في المجلس الوطني للثورة(1956-1959)، ثم وزيرا للشـــؤون الثقافية في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، ثم وزيرا للأوقاف في 1962، ثم ســـفيرا للجزائر بدول المشـــرق، ، كانت له عدة كتابات، (ينظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح المرجع السابق).
(46) توفيق المدني، حياة كفاح، (ج2/ص389– 390).

ثالثا- مسألة اللاجئين ودَور الإغاثة:

من نتائج نكبة فلسطين وقصور النظر للحكام العرب أحيانا وتخاذلهم أحيانا أخرى، وقوّة الصهاينة المتزايدة انجرّ عليها مأساة بقيت معالمها لحدِّ الآن، تمثلت في مسألة اللاجئين المهَجّرين قصرا والفارين من بطش الاحتلال الصهيوني، فكيف كانت تنظر جمعية العلماء إلى قضية اللاجئين؟ وما هي مدلولات مواقفها منها؟

- **قضية اللاجئين:**

بعدما أصبح صوت اللاجئين العرب الفلسطينيين غير مسموع من الهيئات العالمية الرسمية وغير الرسمية، حاولت البصائر أن تساهم في إبراز موقفها ضد ما يمارس على العرب الهاربين من ويلات البطش والقتل الصهيوني. فقد ذكّرت أنها لا تلوم الغرب والأجانب لصمتهم وعدم حراكهم لهذه القضية فقد رأت في ذلك أمرًا طبيعيا؛ كونهم لا يَمُتُّون صلة بالعرب ولا بالإسلام، فلا يُنتظر منهم رحمة أو رأفة، فهم كانوا أحد الأسباب الرئيسية لهذه النتائج. فالأصل هو أن يلوم العربي نفسه فهو أحق بالمساعدة لأخيه العربي. "لمَ نلوم غيرنا على شيء نحن نسلك أشنع منه؟"[47].

فكان موقف جمعية العلماء من ما آل إليه هذا الحال والوضع العربي المتعلق بالمشرَّدين خارج ديارهم، موقف المتحسِّر والبائس الذي ينتظر غيره أن يشفق عليه بعدما تخلّف العرب الإخوة من النُصرة والمناصرة، خاصة بعدما وقف الصهاينة لهم بالمرصاد لا يريدون رجوعهم، والذين وصل عددهم حسب البصائر حوالي أكثر من 700 ألف لاجئ، ومما جاء في نقدها العرب على هذه الحالة:" لقد تكلمنا كثيرا عن هؤلاء البائسين، ولعلنا لا زلنا نتكلم عنهم كثيرا، فالسياسة العالمية تكاد تجهلهم ولا تُحلهم محل اعتبار، ولعلها تنتظر أن يقضي الموت بواسطة الجوع والأوبئة على الأكثرية منهم فتنتهي مشكلتهم من عند نفسه...أن العالم الإسلامي على الأعم وأن العالم العربي على الأخص، لم يقوما بالواجب، حيال هؤلاء الذين أوذوا في سبيل الله، وأخرجوا من ديارهم، وفقدوا أموالهم وأرزاقهم، أن عددهم الرسمي هو 700 ألف نسمة، بعد أن قضى الموت على الصغار والضعفاء منهم، وماذا يا ترى ينتظر الآخرين؟"[48].

وبعدما أعلن اليهود صراحة على عدم إمكانية عودة كل هؤلاء اللاجئين إلى أراضيهم، بحجة أن هناك من يستحق الدخول إلى فلسطين عليهم وهم اليهود الآتون من كل حدب وصوب في إطار الهجرة اليهودية[49]. فقد اعتبرت هذا الإجراء الصهيوني المتعلق بحملة الهجرة اليهودية نحو فلسطين بـــ" النِّقمة " على البلاد التي استعمرها اليهود الصهاينة، حتى يتم سد أبواب الهجرة العربية نحوها مرة أخرى، ومن عمليات الهجرة المرتّبة نحو فلسطين مئات من يهود المغرب الأقصى بالأبيار وبوزريعة بأعالي الجزائر العاصمة استعدادا لترحيلهم بسلام نحو فلسطين بمساعدة السلطة الاستعمارية الفرنسية. ومقارنة بهذا الإجراء الفرنسي في الجزائر استغربت جمعية العلماء الإجراء المعاكس له تماما عندما طلبت جمعية العلماء وبعض الدول العربية من فرنسا أن تسمح لعرب الشمال الأفريقي بأن يساهموا في جمع الأموال من أجل العرب الفلسطينيين اللاجئين، فلم تسمح بذلك حيث أجابت وزارة الخارجية الفرنسية بقولها: " أنْ أكفيكم الأمر ولا موجب للاستجداء في بلاد المغرب العربي، فأنا أمنح بصفتي دولة إسلامية[50] 500 مليون فرنك إعانة للمشردين العرب"، ولكنها لم توف إلا بحوالي 20 مليون فرنك..[51]

(47) المدني، البصائر، العدد(81)، ص04.
(48) المصدر السابق، (ص04).
(49) المرجع نفسه، (ص4)
(50) كانت فرنسا - منذ عرش نابليون الثاني- تدّعي أنها إسلامية برعايتها للمسلمين؛ كونها تحتل عشرات الدول الإسلامية في أفريقيا وغيرها لكثرة الشعوب الإسلامية التي تحت سيطرتها، فهذا الزَّعم ظلت تتلاعب به فرنسا حكومات وراء حكومات في إطار سياسة المغالطة للرأي المحلي والدولي في رعايتها للشعوب الإسلامية.. لكن الواقع المعاش يُثبت الهيمنة الاستعمارية الحقيقية في كل المجالات، خاصة في المجال العقدي بتضييق الممارسات والشعائر الدينية للمسلمين.. كما فعلت بمساجد الجزائر الثلاثمائة خلال بداية الغزو 1830 بتحويل المساجد إلى كنائس واسطبلات ومخازن وحانات للعسكر ومرابض للحيوانات والخنازير ، فلم يبق منها إلا قليل لا يتعد العشرة، وهذا في العاصمة فقط... كما تُبته مذكرات الجزائريين آنذاك والروايات الشفوية وحتى أرشيفات فرنسا وأوروبا.
(51) البصائر، العدد(81)، ص 05.

وعليه فقد طلبت جمعية العلماء من العرب جميعا أن لا يدَعَوا ويتركوا أرواح 700 ألف عربي وعربية وأعراضـهم؛ لأنها وديعة في أعناقهم، وأنها أمانة سوف يحاسَبُ عليها كل مسؤول عربي ومسلم في الدنيا والآخرة[52].

أما من جهة أخرى حول ما تناقلته بعض الجهات على أنها لا تلوم إلا العرب المهجَّرين كونهم هم سـبب هذه الأزمة وهم من يتحمّلها وهم من ترك أرضهم وآثر الهجرة على البقاء. واتهموا جامعة الدول العربية بأنّها هي من أمَرهم بالرحيل وفق تواطؤ السياسة العربية مع اليهود، وهنا أرادت أن تدافع عن كل من اللاجئين أنفسـهم وعن جامعة الدول العربية على أنهما لم يكونا هما السـبب المباشر في الهجرة بِغَضِّ النظر على كون اللاجئين هم من غادر، ولكن هناك أسباب رأتها "البصائر" هي أكبر من ذلك، فقد أدلّت على ذلك بلسان أحد مناصري القضايا العادلة وهو السيد "لو مايسينون"[53] المؤيد للقضية الفلسطينية من ناحيتها المسيحية، الذي قام بإنصاف العرب عند إلقائه محاضرة في باريس بحضور حتى اليهود[54].

وفصّـلت جمعية العلماء موقفها ذلك في: "إن اليهود قد عاملوا العرب بمثل ما كان النازيون من قبل يعاملون به اليهود، ولقد أرغم اليهود العرب على النزوح عن بلادهم أثناء الهدنة، واستعانوا على ذلك بسلوك سياسة الإرهاب فكانوا يعاونون طائفة منهم لبث الرعب والفزع في نفوس الآخرين، ولقد سـلك اليهود نفس هذه المسـلك مع العرب الذين كانوا يعيشـون في بلاد النقب تحت حماية الجيش المصـري، فاليهود اقترفوا جرائم فظيعة لبلوغ غايتهم، ولا بد لي من التنديد بمسلك طائفة من أحبار اليهود، كانوا يستعملون آيات التوراة لحث جماعة من المتنطعين السفاكين على ذبح أكبر عدد ممكن من العرب"[55].

وحلّلتْ البصـائر ما آل إليه وضـع اللاجئين الفلسـطينيين حسـب الحالة السـياسـية المتداخلة بين العرب واليهود والمؤيدين لها والمعارضين لها إلى عدّة نظريات[56]:

– نظرية عربية قوية عودة اللاجئين بصـفة كلية إلى أوطانهم، أرض أجدادهم، إلا من رأى عدم العودة والبقاء في بلاد العرب الأخرى؛

– النظرية الأميركية: إرجاع رُبع مليون إلى ديارهم وأملاكهم (فهذا لا يؤثر على تعداد اليهود حسبهم). والنصف مليون الباقي يبقى في البلاد العربية؛

– النظرية اليهودية: وهي النظرية السائدة وهم متمسِّكون بها في كل المحافل الدولية لوزيرن بسويسرا[57]".

– وأن العرب قد خرجوا من فلسطين، ولن يدخلوها ما دمنا فيها" ولتفعل السياسة بعد ذلك ما تشاء.

إضافة لقول رئيسهم حاييم وايزمان أن العرب الفلسطينيين يجب أن يهاجروا إلى المنطقتين دجلة والفرات الخصبة ويعمّروا أراضيها.. "فوايزمان يريد أن يشرّد العرب إلى المكان الذي شرّد إليه الملك نبوخذنصر من قبل قبائل اليهود عندما اكتسح أرض فلسطين"[58].

فكل ما آلت إليه حالة فلسطين ولاجئيها لم يُثن جمعية العلماء أنْ تَبُثّ من جديد روح الأمَل والثقة في نفوس العرب؛ عسى أن يسـتجمعوا قواهم المعنوية قبل المادية لتحقيق ما عجزوا عنه سـابقا، وهذا ما قاله الإبراهيمي آملا أن يسـتجمع العرب صـفوفهم باسـترجاع الثقة فيما بينهم ونسـيان خلافات الماضـي التي سـببها الاسـتعمار، وهذا كله حتى يتحقق مسـتقبل العروبة في صـف واحد[59].

(52) المرجع السابق، (ص05).
(53) أحد السياسيين الفرنسيين المساندين للقضايا العادلة.. ومنها قضية فلسطين (عن: البصائر، العدد(81)، ص05.
(54) المدني، البصائر، العدد(81)، ص04.
(55) المصدر السابق، (ص04).
(56) المرجع نفسه، (ص05).
(57) لوسيرن Lucerne من أهم المدن الأوروبية لطابعها السياحي والثقافي، تقع بدولة سويسرا، كانت لها شهرة دولية في حيادها في مختلف القضايا الدولية، وكانت وِجْهَةً للسياسيين وأصحاب القضايا العادلة، لوجود جو آمن وسلمي يسمح بتداول ومناقشة القضايا العالمية.. (ينظر: (Le Robert illustré, 2014, France, Pollina, p1138).
(58) المرجع السابق، (ص05).
(59) المرجع نفسه، (ص05).

أمّا المفاوضات التي كانت تدور في تلك الأثناء في لوزيرن بسويسرا حول اللاجئين العرب الفلسطينيين حكمت عليها جمعية العلماء بالفشل وعدم النجاح ويُضاف إخفاقا جديدا للعرب، باعتبار أن اليهود بقوا متمسِّكين برأيهم حول عدم رجوع اللاجئين إلى فلسطين، والعرب لا زالوا غير متفقين ولا متحدين حول مسألة الحدود، لذلك قالت : "ولقد كان من العبث والاستهتار الاستمرار على العمل ضمن ذلك المؤتمر الأبتر، فلا خير يُرجى من المذاكرة مع الصهاينة المستعمرين لا اليوم ولا بعد اليوم"(60).

فقضية اللاجئين لم تزدد إلا اتساعا، وعدم الالتفات إليها من طرف دول الغرب، ولا حتى دول عربية والتي وصفتها البصائر بالمؤامرة حتى العرب المشاركين فيها؛ لأنهم لم يقرِّروا إدماجهم بين رعاياهم لا في مدنهم ولا في قراهم، ناهيك عن السياسة العالمية التي لم تُعِرْ لهم اهتماما، حيث تساءلت عن كيفية الخروج من مأزق القضية التي اعتبرته كارثة بقولها: " فكيف التخلص من هذه الكارثة التي لم يكد يعرف العالم الحديث لها مثيلا؟"(61).

فتأزُّم مشكلة اللاجئين الفلسطينيين اتخذت منها أمريكا منفذا للضغط على الدول العربية التي بحاجة إلى المال، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنظر إلى الأمر من حيث مصلحة اليهود، وأنّ الحل الأمثل عندها هو أن تمنح كل الدول العربية الأموال في إطار مشروع رئيس الولايات المتحدة الأمركية هاري ترومان"(62) لإعانة العرب الفلسطينيين في البلاد العربية، والظاهر أن هذه الأموال أميركية ولكنها أغلب مصادرها من الشركات والبنوك اليهودية في أميركا والغرب. فكان ردُّ البصائر على مقترحات ذلك البرنامج في مساعدة وإعانة دول المشرق العربية، اعتبرته بمثابة شراء الصمت لكل من وافق عليه من الدول العربية، والاعتراف الضمني بالأمر الواقع في وجود وأحقية الكيان اليهودي في فلسطين، بصرف النظر عن اتخاذها لمساعدة اللاجئين ومنحهم الاستقرار؛ لأنها رأت الولايات المتحدة الأمريكية ومن معها ومن تقف معه يعتمدون على المال وحده لفضِّ المشاكل وجلب المصالح واصطناع الرجال والأمم(63).

رابعاً– دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المؤتمر الإسلامي بالقدس 1953 وموقفها منه:

حضر الشيخ الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المؤتمر الإسلامي في القدس ممثلا للجزائر رفقة الفضيل الورتلاني في أوائل كانون الأول 1953م، وكان في اللجنة التي شكّلها المؤتمر برئاسة الشيخ علي الطنطاوي(64)، من أجل الدعاية لفلسطين، وكُلّفت اللجنة بالطواف على العالم الإسلامي لتعريف المسلمين بالقضية الفلسطينية، ودعوتهم إلى دعمها ماديا ومعنويا(65).

أما مخرجات هذا المؤتمر قد تمثّلت في عدة قرارات وتوصيات؛ والتي كان من بين مقرريها كل من رئيس جمعية العلماء الذي ترأس جُل جلساته ورفيقه الشيخ الورتلاني:

- الدفاع فرض عين على كل مسلم وعربي، ولا عِبرة بالتقسيم المفروض.
- الصُّلح مع اليهود خيانة.
- الإعداد للكفاح المسلح الإيجابي، وتمكين اللاجئين ماديا ومعنويا للعودة.
- تكوين صندوق إسلامي عام لقضية فلسطين. وهذا ما كان يدعو إليه الإبراهيمي منذ النكبة الأولى.
- إنذار الدول المستعمِرة بالعداء، وإنذار الدول التي ساهمت في قيام إسرائيل.

(60) المدني، البصائر، العدد(84)، ص04.
(61) المدني، البصائر، العدد(91)، ص05.
(62) ترومان هنري (1884-1972)؛ رجل دول أميركي نائب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية روزفلت، شهد نهاية الحرب العالمية الثانية بعد الاتفاق على قنبلة اليابان في هيروشيما وناكازاكي، وصاحب فكرة مساعدة أوروبا من الحرب العالمية في إطار مشروع مارشال، وحتى الشرق الأوسط 1949، كما كان له دور في تدخُّل بلاده في كوريا التي انقسمت بين شمالية وجنوبية بين1950-1953. (ينظر: Le Robert, 2014, p.1939).
(63) المدني، البصائر، العدد(98)، ص05.
(64) علي الطنطاوي: عالم أزهري من علماء مصر، ترأس لجنة المؤتمر الإسلامي التي كانت تُعنى بجمع التبرعات والدعاية للقضية الفلسطينية، تحت رعاية المؤتمر الإسلامي بالقدس 1953.
(65) شقري، الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (ص 160).

- اتخاذ يوم 27 رجب من كل عام يوم لفلسطين.
- توصيات تصب مجملها في صالح القضية العربية عامة ولقضية فلسطين خاصة، وبالأخص حول عدم السماح لليهود بالاستيلاء على الأملاك العقارية الفلسطينية، وهذا بدعوة كافة الدول العربية والإسلامية بمناشدة الحكومات الإسلامية على إنقاذ ممتلكات المسلمين في القدس، ومدّ القدس بالمال لعمارته وكل ما هدمته انتهاكات اليهود[66].

غادر الإبراهيمي القدس متوجها إلى عَمّان الأردن بعدما دعاه الملك الحسين بن طلال إلى قصره، حيث اختتم المؤتمر في الأردن، بعدما اتفق المؤتمرون في فلسطين على خمسة أعضاء لمقابلة الملك ووزير خارجيته حسن فخر الخالدي، وكان الإبراهيمي صاحب الكلمة، فأُعجِب به المَلِك، ثم تمّ انتخاب لجنة تنفيذية قبل انتهاء المؤتمر، كان من بين أعضائها الفضيل الورتلاني على غرار سيد قطب وسعيد رمضان ومحي الدين القليبي وكمال الشريف ومحمد خليفة، ومحمد محمود الصواف، إضافة إلى لجنة مالية على رأسهم الإبراهيمي، وأمجد الزهاوي وعلي الطنطاوي والفضيل الورتلاني ومحمد محمود الصوّاف[67].

وبعدما انقضى المؤتمر الإسلامي بالقدس (03 كانون الأول ديسمبر 1953م)، تناول الإبراهيمي[68] بعض ما كان قد حزّ في قلبه حول حقيقة هذا المؤتمر، على أنه لم يأت بالجديد في خِضَمّ ما تقوم به بعض الحكومات بالتواطؤ مع اليهود وحلفائها، في ضوء التخاذل، ولأنه كان يرى كذلك بأن هذا السكوت سببه خذلان العرب أنفسهم على حد سواء؛ بسبب انهزامهم أمام ثلة من اليهود استطاعوا أن يغلبوا ست دول، وهذا ما أدّى به إلى اعتبار أنّ الذين خَرجوا وأُخرِجوا– من ديارهم– من فلسطين لم يُخرجهم الصهاينة بقدر ما كان ساسة العرب وأصحاب القرار هم من كانوا سببا في ذلك[69].

بالإضافة إلى أنّ هذا المؤتمر حسْبَه لم يكن كما خُطِّط له من أجل الإسهام المالي والمادي لنصرة القدس وفلسطين، ولكن الواقع الذي صدمه، ذلك العمل الذي لم يكن هو أساس المؤتمر، حيث رأى العديد من المشاركين ضرورة الإسراع بترميم مسجد قبّة الصخرة متناسين لُبّ القضية وجوهرها وهي القدس وفلسطين، لذلك أغلظَ الإبراهيمي الحديث حول من يقف وراء ذلك، فقد رآها أمورا ثانوية هدفها إلهاء العرب والمسلمين عن القضية الأساسية، فقد كان من المقرر وجود لجنة واحدة لجمع المال للقدس لا لجنة أخرى لجمع المال لمسجد قبة الصخرة[70].

لذلك ذكّرهم بأن مثل هذا الإجراء سيؤدّي إلى فشل المؤتمر الذي أُقيم أصلا من أجل القدس وفلسطين، ولأن اليهود كانوا لا يرون معنى لفلسطين دون القدس ولا معنى للقدس بدون الهيكل – المزعوم – وهذا ما أدّى به إلى تنبيه العرب والمسلمين على محاربة اليهود بنفس الفكرة، ولكن تطبيقها بشكل معاكس " لا فائدة للعرب والمسلمين في مسجد قبة الصخرة بدون القدس ولا فائدة للعرب والمسلمين من القدس بدون فلسطين، حيث قال: ".. فلنعكس نحن لهم القضية ما دامت الأقدار قد أوقفتنا منهم هذا الموقف، ولنقلها صريحة مجلجلة يفسّرها العمل، لا فائدة لنا في الصخرة والأقصى بدون القدس ولا فائدة لنا من القدس بدون فلسطين، فالثلاثة واحد وليس الواحد ثلاثة.." [71]

كما نوّه أنه لم يكن ضد فكرة ترميم مسجد قُبّة الصخرة من حيث المبدأ، ولكنه كان يراها مسألة ثانوية يمكن العمل عليها بعد تحقيق هدف المؤتمر من أجل القدس أولا، وهذا ما جعله يَعِدُ بأنّ لجنته ستعمل ما يلزمها لترميم مسجد قبة الصخرة[72].

لكنهم بعد المؤتمر تغافلوا ذلك وراحوا يُرَكِّزون اهتمامهم حول مسجد الصخرة دون القدس وفلسطين.. وهذا ما جعله يصف عمل هذه الجماعة بأنه يخدم اليهود أكثر مما يخدم القضية الفلسطينية، وقال في ذلك: "من ذا الذي لا يعتقد أن أثار فكرة وفد

(66) المدني، البصائر، العدد(252)، ص04.
(67) المصدر نفسه.
(68) الإبراهيمي، مجلة الأخوّة الإسلامية، العدد(11).
(69) دراجي، مواقف الإمام الإبراهيمي، المشرق العربي، (ص151 – 152).
(70) المرجع السابق، (ص 153).
(71) المدني، البصائر، العدد(252)، ص04.
(72) دراجي، (ص153 – 154).

الصخرة في هذا الوقت بالذات هي معاكسة للمؤتمر وضرار له وتعطيل لسيره وإبطاء لنتائجه ولو كانت طفيفة، ومجموعها الدفاع العملي عن فلسطين، ومن ذا الذي لا يعتقد أن هذا في صالح اليهود لا في صالح المسلمين؟ وأنه زيادة في يقينهم بأننا قوم نلهو ونلعب، ومن الذي لا يستخرج من اشتمال وفد الصخرة على العمائم الكبيرة، أن علماء الدين هم الذين تولوا كِبر هذه الزلّة؟ ومهما تكن لحكومة الأردن من يد بالنيابة في تنشيطه وتمويله، فإن ذلك لا يدفع الغضاضة عن علماء الدين والسخرية بهم من الناس..."[73]

وهنا نجد بأن الإبراهيمي يريد إبعاد العلماء عن مثل هذه القضية التي تتبنى مسألة ثانوية عن المسألة الأصلية، فهو لا يريد أن يعتقد عامة الناس بأن للعلماء دور في مثل هذه المهزلة حتى وإن وُجد بعضهم وراء مثل هذه المسائل الهامشية حسب الإبراهيمي.

وهذا ما جعله يتساءل عن وجود وفدين في مؤتمر واحد، وفد من أجل مسجد قُبّة الصخرة ووفد من أجل القدس وفلسطين، فهذا يجمع لفلسطين وذاك يجمع لترميم مسجد في القدس! ما جعله يتساءل مُتشكِّكا: "أليست هذه الأعمال التي تزيد في النفوس المضطربة بالشكوك اضطرابا، أليست هذه جريمة ؟"[74]

لذلك ردّ على من سمّاهم بالصخريون[75]؛ "إنكم ومن أعانكم على مشروع الصخرة بالمال أو نشطكم عليه بالرأي لم تزيدوا على أن أحييتم في الإسلام سُنّة من سُنن المصريين القدماء في قصة عروس النيل؛ كانوا يزيّنون فتاة للموت وأنتم تزيّنون مسجدا للهدم"[76].

فقد أراد هنا أن يحيط علما ذاك الوفد بأنهم قد تركوا الأصل وهو الأولى للوقوف ضد العدو المشترك، ففي النهاية سيقوم اليهود بتهديمه وعليه كل الأموال التي ستصرف عليه تذهب هباء وكان أولى بهم استخدامها في السلاح والعتاد لتحرير فلسطين وإعادة اللاجئين.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ وفد اللجنة المالية للمؤتمر توجّه من الأردن نحو سوريا من أجل عرض أهدافه وقراراته إلى الرئيس السوري أديب الشيشكلي، ثم في 05 يناير 1954 غادر الإبراهيمي والورتلاني إلى بغداد وقابلا رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، حيث قدّما له أعمال المؤتمر الإسلامي بالقدس، وقام الإبراهيمي بإلقاء كلمة في جامع الإمام الأعظم "أبو حنيفة" جاء فيها: " كل أمّة تكثر فيها الأقوال تقلّ فيها الأعمال وكل أمة تكثر فيها الأعمال، تضعف فيها الأقوال... هذه سنة أبقوها على أنفسكم"، وحثَّ على الالتزام بالعمل دون القول والكلام؛ إنهم انصرفوا إلى الأقوال حتى أصبحت هي رأس المال، وتناول مسألة فلسطين مُذكرا العراقيين والعرب أسباب فقدان فلسطين والقدس بقوله: "إنها ما ضاعت ونحن قلة بل نحن كثير أكثر مما كنا في التاريخ، إننا نقول كثيرا ونعمل قليلا أو لا نعمل شيئا حتى ضاعت فلسطين بين الخطب والقصائد، وعلى هذا الأساس افهموا قضية فلسطين التي ضاعت؛ لأن اليهود منذ بداية الحرب الأولى يستعدون ويعدّون، عددهم قليل وعملهم كثير، بدؤوا بالتسلُّح ونحن ساكنون، وبدؤوا بالمعامل الحربية ونحن عنها معرضون"[77].

ثم لخّص حقيقة الوضع الذي تعيشه فلسطين ويعيشه العرب بقوله: "إن معرفة كارثة فلسطين لا تَعْدُ أن تكون أسئلة وأجوبة، فإن استطعنا أن نعرف الأجوبة استطعنا أن نعرف الداء ثم نعالجه.

- أما السؤال الأول فهو: هل أضعنا فلسطين؟ الجواب: نعم.

(73) المرجع نفسه، (ص157 – 158).
(74) المرجع السابق، (ص157-158).
(75) لفظة "الصخريون" جاء به الشيخ الإبراهيمي متمثلا به جماعة المؤيدين لترميم مسجد قبّة الصخرة على حساب غاية المؤتمر الإسلامي بالقدس 1953، فكانت التسمية نسبة لمسجد قبّة الصخرة... لذلك كان معارضا لهم من حيث المبدأ، ليس من حيث الفكرة.. (ينظر: محمد دراجي، مواقف الإمام الإبراهيمي، المرجع السابق، ص157-158. وأيضا: أحمد توفيق المدني، البصائر، (ع: 04/252).
(76) دراجي، المرجع السابق، (ص 158)..
(77) الإبراهيمي، الآثار، (ج:04/282 – 283).

- السؤال الثاني: هل أعطيناها أم أخذوها منّا؟ الجوب: أعطيناها نحن.
- السؤال الثالث: هل يمكن استرجاعها؟ الجواب: يمكن استرجاعها.

ثم قال: بماذا أضعنا فلسطين؟ الجواب: أضعناها بالكلام، فقد كان الشعراء ينظمون القصائد الطويلة العريضة في مديح العرب وتسفيه اليهود والكتّاب يكتبون والساسة يصرّحون. فبين النَّظم والتصريح والكتابة والخطابة ضاعت فلسطين.. ثم قال: الرجل البطل يعمل كثيرا ولا يقول شيئا..[78]، حيث إن ظهور إسرائيل في المنطقة سنة 1948 ككيان دولة مزاحمة للدول العربية بالمشرق كان له بالطبع مصالح تتعارض تماما مع مصالح المنطقة العربية من ناحية وتتفق أو تتعارض ثانويا مع مصالح الاستعمار القديم والجديد[79].

كما تحدّث الورتلاني بعدما تمت استضافته في إذاعة العراق عن فلسطين قائلا: "ليس المطلوب هو استرداد فلسطين لأنّ ذلك هو أهون مطلوب منكم كعرب وكمسلمين، وإنما المطلوب أن تستردوا كرامة الإسلام وكرامة العرب... الكرامة التي أوشكت أن تضيع، فإذا ما ضاعت ضاع معنى وجود الأمّة... إنكم لا تستطيعون أن تستردوا فلسطين قبل أن تستردوا كرامة العرب والمسلمين، إن فلسطين ضاعت يوم ضاعت فينا الهِمّة..."[80]

خامسا– رؤية جمعية العلماء الاستشرافية حول قضية فلسطين:

من مواقف الإبراهيمي الاستشرافية انطلاقا من واقع الوضع الراهن سياسيا وفكريا الذي كان يدبُّ فيه الضعف والوهن والخوف في أروقة الساسة والحكام، أدى به إلى القول بأن القضية الفلسطينية ستبقى دون حل، وأنّ فلسطين لم يتم تضييعها أصلا إلا بسبب العرب أنفسهم؛ لذلك صرّح قائلا: "ما أضاع فلسطين إلا العرب، وقد جاءتهم النُّذر فتمارَوا بها، ثم حق الأمر وهم غاوون فاندهشوا، ثم وقعت الواقعة فأبلسوا، وعمد خطباؤهم إلى الخطب ينمّقونها وشعراؤهم إلا القصائد يُزَوِّقونها وساستهم إلى الدعاوى يلفّقونها، وعامتهم إلى الخرافات يصدّقونها، بينما عمد ملوكهم إلى الأمداد يفوقونها وإلى الأهواء ينفقونها، وعمد خصومهم اليهود إلى الغايات يحققونها، وإلى العهود يمزّقونها، وقضى الأمر وأوسعناهم سبّا وراحوا بالإبل، وبعد أن كنا نقول: أهل فلسطين أصبحنا نقول ما قالته الجرهمية في مكّة: بلى نحن كنا أهلها، ولا أدري كيف تنتصر أمّة تقطعت بسوء صنيعها أمما ثم تدلت في الذل ثم صارت تطلب الرحمة من معذبها، وتعطي الدية لقاتلها، ثم ارتكست في السقوط حتى أصبح نصف ملوكها صبيانا وأكثر أدلائها عميانا"[81].

فكان الإبراهيمي حريصا جدا على تذكير العرب والمسلمين بمكر اليهود وخدعهم وتوضيح خططهم الرامية إلى ما بعد فلسطين، ففلسطين بالنسبة لليهود خطوة أولى، فنادى في العرب قائلا: "أيها المسلمون إن اليهود طامحون إلى أكثر من فلسطين، وإنهم يستعدون بعد أن غمسوا أرجلهم في ماء البحر الأحمر لاحتلال مكة والمدينة، فماذا أنتم صانعون؟ إن كنتم تعتمدون على أن للبيت ربا يحميه فهذ إرهاص لا يتكرر مرتين، وهو عذر لا يقوم بعد أن أخذ عليكم العهد بحماية البيت. إنه لا حجة لنا على الله، بل الحجة علينا وإننا لسنا من العزّة على الله بحيث يخرق سننه الكونية لأجلنا وقد رفع يده عنا فلا يبالي في أي واد نهلك، وحكم سنته فينا فحكمت بأن نُمْلك ولا نَملِك، فعودوا يعُد وغيّروا وحققوا الشرط يحقق الجزاء[82].

خاتمة الدراسة: ومما سبق، توصّل هذا البحث إلى جُملة من النتائج تتركّز في:

- ✓ أنَّ التفاعل المادي والمعنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان ينبع من الإحساس المشترك بين مختلف العرب والمسلمين وما تربطهم من روابط عديدة جعلتها تشعر بما يشعر به الفلسطينيون، باعتبار أنّ الهيمنة الاستعمارية وقسوة الاحتلال مريرة وشديدة على النفوس قبل الأبدان والأوطان، فما بالك إذا كان ذلك في ظل الكيان الصهيوني ومن ورائه الدعم

(78) الإبراهيمي، الآثار، (ج:04/282 – 283).
(79) مورو، الجزائر تعود إلى محمد صلى الله عليه وسلم، (ص 516).
(80) أبو صادق، البصائر، العدد(255)، 16، ص02.
(81) الإبراهيمي، الآثار، (ج4/139).
(82) المصدر السابق، (ج4/143).

المادي والمعنوي للاســـتعمار الغربي، فقد كانت جمعية العلماء الجزائريين جزءًا لا يتجزّأ من الحركة الوطنية الجزائرية التي نددت كثيرا بما وقع للقدس وفلســطين من جرّاء الاعتداء الســافر من خلال الاحتلال المُمنهج لليهود.. بالإضـــافة إلى كون الجزائريين قد عانوا مرارة الاحتلال الفرنسي، هذا ما جعلهم يُحسُّون بما كان يشعر به كل فلسطيني حرّ..

- ✓ أنَّ جمعية العلماء كانت إحدى الفاعلين في الحركة الوطنية الجزائرية بصفتها حركة إصلاحية ترتكز على مبادئ وثوابت نابعة من الهوية الإسلامية والعربية، كانت تشعر بما يشعر به الشعب الفلسطيني من سياسة تسلُّط الاحتلال الأجنبي، فكان موقفها تجاه قضــية القضــايا فلســطين أمر طبيعي إلى درجة الواجب، وهذا لإدراكهم ما لهذه القضــية من أهمية كبيرة لدى العالمين الإســلامي والعربي من حيث نتائج وآثار الاحتلال الصــهيوني اليهودي لفلسـطين ومن ورائها القدس، وهذا ما كانت تُحذِّر منه جمعية العلماء حتى قبل 1948..
- ✓ وعليه فجمعية العلماء كانت شديدة الانتباه لِما يحدث في فلسطين، حريصةً كل الحرص عليها وعلى القدس، وهذا ما قامت به انطلاقا من علمائها في الجزائر أو خارجها دون اســـتثناء، فابن باديس قبل 1948 ثم الإبراهيمي وغيرهم من علماء الجمعية وباقي الأعضـاء، اجتهدوا لإعانة فلسطين وشـعبها بالنفس والنفيس ولم يثُنهم ترهيب ووعيد الاستعمار الفرنسـي، فراحت تعمل لفلسطين بالسِّر أحيانا وفي العلن أحيانا أخرى..
- ✓ كما شـاركت جمعية العلماء في أغلب التظاهرات العربية والإسـلامية المتعلِّقة بفلسـطين، فكانت على رأس المؤتمر الإسـلامي بالقدس خلال 1953، وعلى رأس لجنته المالية الرامية لجمع التبرعات من مختلف دول العالم العربي والإسلامي..
- ✓ فكانت لهجتها شديدة على كل من عارض إعانة فلسطين أو حاول تعطيل قرارات المؤتمر..
- ✓ ولتباين مواقف العرب حول فلسـطين، جعلها تسـتشـرف حال فلسـطين من السـيِّء إلى الأسـوأ في حالة ما إذا لم يتّحد العرب والمسلمون في وجه العقبات الداخلية والخارجية... فكانت نظرة علماء الجمعية نظرة العالِم المُتبصِّـر.. وهذا ما كانت تخشـاه، وقد تحقق.

ورغم ما توصّل إليه هذا البحث من نتائج، فلا زالت جمعية العلماء وعلاقاتها بالمشرق العربي في إطار نَصرة القدس وفلسطين تنتظر البحث والتنقيب في مختلف الوثائق من مذكرات شـخصـية، ومقالات صَـحفية، وكتابات ورسـائل.. ووثائق أرشـيفية لدى الأرشيف الفرنسي وغيره.

ولكن والحمد لله لا زالت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الحالية وعلى رأسها الجزائر المستقلة من أكبر الداعمين للقضـية الفلسطينية والمناهضين للعنصرية الصهيونية واليهودية، رافضة كل أشكال التطبيع..

المصادر والمراجع

أولاً– باللغة العربية:

الإبراهيمي، دموع على فلسطين. جريدة البصائر، (20 شوال1366هـ/ 5 سبتمبر1947م)، العدد(05)، ص1– 2.

الإبراهيمي، محمد البشـير. (1997م)، آثار الإمام محمد البشـير الإبراهيمي. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1،(ج1)، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

الإبراهيمي، محمد البشـير. (1997م)، آثار الإمام محمد البشـير الإبراهيمي. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1،(ج2)، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

الإبراهيمي، محمد البشـير. (1997م)، آثار الإمام محمد البشـير الإبراهيمي. جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1،(ج4)، بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

الإبراهيمي، محمد البشير، جريدة البصائر.(20 شعبان 1367 هـ / 28 حزيران يونيو 1948م). العدد(41)، ص6.

الإبراهيمي، محمد البشير. (1994). في قلب المعركة،1954–1962، تقديم: أبو القاسم سعد الله، الجزائر: شركة دار الأمة.
أبو صادق. البصائر، (16 جمادى الأولى 1373هـ / 22 كانون الثاني يناير 1954)، ع: 255. ص2.
أحمد توفيق المدني، حياة كفاح. (1982م)، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.
بخوش، الصادق. (2009م). الفكر السياسي لثورة التحرير الجزائرية، مقاربة في دراسة الخلفية. الجزائر: غرناطة للنشر والتوزيع.
بن ساعو، محمد. (2016م)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية 1954–1962، الجزائر: دار الأمة.
بوحوش، عمار. التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962، الجزائر: البصائر الجديدة للطباعة والنشر.
توفيق المدني. البصائر، (26 ربيع الثاني 1373هـ / 01 كانون الثاني يناير 1954)، ع: 252. ص4.
توفيق المدني. البصائر، (29 رجب 1367هـ / 07 حزيران يونيو 1948).العدد(38)، ص 05.
جريدة البصائر. (02 شعبان 1368هـ / 30 مايو 1949م)، العدد(81)، ص4 – 5.
جريدة البصائر (03 ذي الحجة 1368 هـ / 26 أيلول سبتمبر 1949م)، العدد(91)، ص5.
جريدة البصائر (07 ربيع الأول 1369هـ/26 كانون الأول ديسمبر 1949م)، العدد(100)، ص5.
جريدة البصائر (22 صفر 1369هـ / 12 كانون الأول ديسمبر 1949م)، العدد(98)، ص5.
جريدة البصائر (24 شعبان 1368هـ / 20 حزيران يونيو 1949م)، العدد(84)، (ص4)
حمودي، ابرير. (2015/2014م). مواقف الجزائريين من القضية الفلسطينية 1945– 1973. رسالة غير منشورة، مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف أ.د: علي آجقو، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية. جامعة باتنة/ الجزائر.
دراجي، محمد. (2009م). مواقف الإمام الإبراهيمي المشرق العربي. ط1. الجزائر: عالم الأفكار.
دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها. جريدة الشهاب. (ربيع الثاني 1356هـ / 11 حزيران يونيو 1937م). ج4، المجلد(13)، ص179.
سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. (2009م)، الجزائر: دار المعرفة.
سعيد، أمين. (د.ت). الثورة العربية الكبرى، تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، إمارة شرق الأردن وقضية فلسطين وسقوط الدولة الهاشمية وثورة الأم مج:3. القاهرة: مكتبة مدبولي.
شهرة، شقري. (2009م). الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. رسالة ماجستير غير منشورة، في الدعوة الإسلامية، إشراف: أ.د. محمد زرمان، جامعة باتنة/الجزائر.
عمورة، عمار. (2006م)، الجزائر بوابة التاريخ إلى 1962، ج2، الجزائر: دار المعرفة.
قورصو، محمد. (د.ت)، عبد الحميد بن باديس، نصوص مختارة. تصدير: عبد العزيز بوتفليقة، الجزائر: منشورات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيعANEP .
مجلة الأخوة الإسلامية، السنة الثانية، 17 شوال 1373هـ/18 جوان 1954م، ع: 11.
مورو، محمد. (د.س)، بعد 50 عام من سقوط الأندلس 1492– 1992م، الجزائر تعود لمحمّد صلى الله عليه وسلم. القاهرة: المختار الإسلامي للطبع والنشر والتوزيع.
الورتلاني، الفضيل. (2009م). الجزائر الثائرة. ط4. الجزائر: دار الهدى.

المراجع باللغات الأوروبية:

اللغة الفرنسية:

Archives Aix en Provence. France : documents Internes. Fonds ministériels. 81F/ 939.

Le Robert illustré (Dicionnaire), (2014), France, Pollina, p1138).

Ben Khedda, B.Y. **(**2002**)**. *Les Origines du Premier Novembre* 1954**.** Algérie : Edition du centre national d'études et des recherches sur le Mouvement National et la Révolution, au 1er Novembre 1954.

اللغة الإسبانية:

Abid, Mouna. (2000). *EL ISLAMISMO Y SU REFLEJO la crisis Argelina en la prensa espanola*. Madrid/Espana : Agencia espanola de cooperacion internacional.

رومنة المراجع العربية (Romanization of Arabic references) :

Abu Sadiq. Al-Basa'ir Newspaper, (16Jumada al-Ula 1373AH/January 22,1954),Issue(255). p.2.

Ahmed Tawfiq Al-Madani, *A life of struggle*. (1982), volume:2, Algeria, National Corporation for Publishing and Distribution.

Al-Basa'ir Newspaper (in Arabic). (02 Shaban 1368 AH / May 30, 1949 AD), Issue(81), pp. 4-5.

Al-Basa'ir Newspaper (in Arabic). (03 Dhu al-Hijjah 1368 AH / September 26, 1949 AD), Issue(91), p. 5.

Al-Basa'ir Newspaper (in Arabic). (22 Safar 1369 AH/ 2 December 1949 AD), Issue(98), p. 5.

Al-Basa'ir Newspaper (in Arabic). (7 Rabi' al-Awwal 1369 AH / December 26, 1949 AD), Issue(100), p. 5.

Al-Basa'ir Newspaper (in Arabic). (Sha'ban 24, 1368 AH / June 20, 1949 AD), Issue(84), (pg. 4)

Al-Ibrahimi, Muhammad Al-Bashir, Al-Basa'ir Newspaper (in Arabic). (20 Shaaban 1367 AH / June 28, 1948 AD). Issue(41), p. 6.

Al-Ibrahimi, Muhammad Al-Bashir. (1994). *In the Heart of the Battle*, 1954-1962 (in Arabic). presented by: Abu al-Qasim Saadallah, Algeria: Dar al-Ummah Company.

Al-Ibrahimi, Muhammad Al-Bashir. (1997 AD), *The effects of Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi* (in Arabic). Collected and presented by: Ahmed Talib Al-Ibrahimi, 1st Edition, (Volume:1), Beirut, Lebanon: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Ibrahimi, Muhammad Al-Bashir. (1997 AD), *the effects of Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi* (in Arabic). Collected and presented by: Ahmed Talib Al-Ibrahimi, 1st Edition, (C2), Beirut, Lebanon: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Ibrahimi, Muhammad Al-Bashir. (1997 AD), *the effects of Imam Muhammad al-Bashir al-Ibrahimi* (in Arabic). Collection and presentation: Ahmed Talib Al-Ibrahimi, 1st edition, (volume:4), Beirut, Lebanon: Dar Al-Gharb Al-Islami.

Al-Ibrahimi, *Tears for Palestine* (in Arabic). Al-Basa'ir Newspaper, (20 Shawwal 1366 AH / September 5, 1947 AD), Issue(05), pp. 1–2.

Al-Wartalani, Al-Fadil. (2009). *rebellious Algeria* (in Arabic). (4th ed). Algeria: Dar Al-Huda.

Bakhush, Sadiq. (2009 AD). *Political thought of the Algerian Liberation Revolution, an approach to background study* (in Arabic). Algeria: Granada Publishing and Distribution.

Bin Sao, Muhammad. (2016), *Association of Algerian Muslim Scholars and the Liberation Revolution 1954-1962* (in Arabic). Algeria: Dar Al-Ummah.

Bohosh, Ammar. *The Political History of Algeria from the Beginning to 1962* (in Arabic). Algeria: Al-Basa'ir Aljadida for Printing and Publishing.

Call of the Association of Algerian Muslim Scholars and its origins (in Arabic). Shehab newspaper. (Rabi' al-Thani 1356 /11 June 1937). (part:4/Volume (13), p. 179.

Conference record of the Association of Algerian Muslim Scholars (in Arabic). (2009), Algeria: Dar Al Maarifa.

Daraji, Muhammad. (2009). *The positions of Imam Ibrahimi Arab Mashreq* (in Arabic). Algeria: the world of ideas.

Fame, Shaqri. (2009 AD). *Advocacy discourse at the Algerian Muslim Scholars Association* (in Arabic). Unpublished master's thesis, in Islamic Da`wah, supervised by: Prof. Dr. Mohamed Zerman, University of Batna. Algeria.

Gomorrah, Ammar. (2006), *Algeria is the gateway to history to 1962* (in Arabic). part2, Algeria: Dar al-Maarifa.

Hamoudi, Abrir. (2014/2015). *Algerians' positions on the Palestinian issue 1945-1973* (in Arabic). An unpublished thesis, presented for the degree of Doctor of Science in Modern and Contemporary History, supervised by Prof: Ali Ajgo, Faculty of Humanities, Social Sciences and Islamic Sciences. University of Batna. Algeria

Journal of the Islamic Brotherhood (in Arabic). second year, (17 Shawwal 1373 AH / 18 June 1954 AD), part: 11.

Moreau, Muhammad. (DS), *50 years after the fall of Andalusia (1492-1992 AD), Algeria belongs to Muhammad, may God bless him and grant him peace* (in Arabic). Cairo: Al-Mukhtar Al-Islami for printing, publishing and distribution.

Qorso, Muhammad. (D.S), *Abd Al Hamid bin Badis, selected texts* (in Arabic). Presentation by: Abdelaziz Bouteflika, Algeria: ANEP Publications.

Saaid, Amin. (D.T). *The Great Arab Revolt, a detailed, comprehensive history of the Arab cause in a quarter of a century*, the Transjordan Emirate, the Palestine Question, the Fall of the Hashemite State, and the Mother's Revolution (in Arabic). Volume: 3. Cairo: Madbouly Library.

Tawfiq Al-Madani. Al-Basa'ir Newspaper (in Arabic). (26 Rabi' al-Thani 1373 AH / 01 January 1954), Issue(252). pg. 4.

Tawfiq Al-Madani. Al-Basa'ir Newspaper (in Arabic). (29 Rajab 1367 AH / June 07 1948). Issue(38), p. 05.